بسم الله الرحمن الرحيم ..

هذه القصة من كتاب روايات عالمية للجيب (مارك توين)

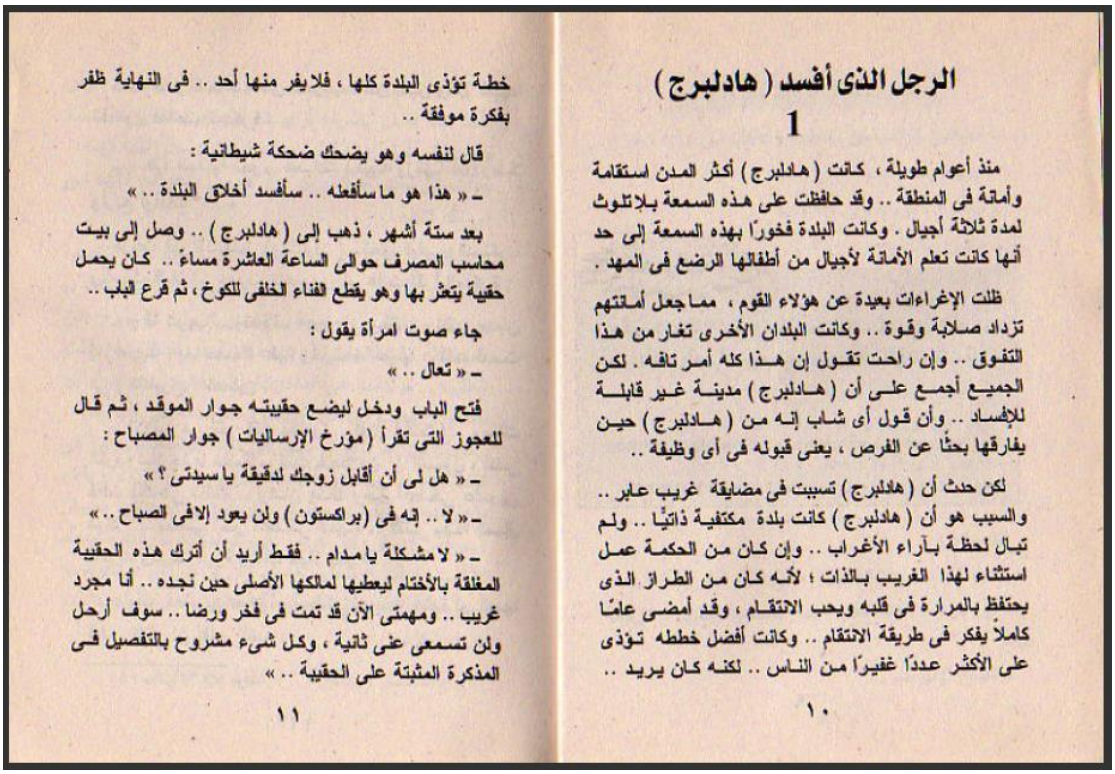

الرجل الذى أفسد (هادلبرج)

1

منذ أعوام طويلة ، كانت (هادلبرج) أكثر المدن استقامة وأمانة فى المنطقة .. وقد حافظت على هذه السمعة بلا تلوث لمدة ثلاثة أجيال . وكانت البلدة فخورًا بهذه السمعة إلى حد أنها كانت تعلم الأمانة لأجيال من أطفالها الرضع فى المهد .

ظلت الإغراءات بعيدة عن هؤلاء القوم ، مما جعل أمانتهم تزداد صلابة وقوة .. وكانت البلدان الأخرى تغار من هذا التفوق .. وإن راحت تقول إن هذا كله أمر تافه . لكن الجميع أجمع على أن (هادلبرج) مدينة غير قابلة للإفساد .. وأن قول أى شاب إنه من (هادلبرج) حين يفارقها بحثًا عن الفرص ، يعنى قبوله فى أى وظيفة ..

لكن حدث أن (هادلبرج) تسببت فى مضايقة غريب عابر .. والسبب هو أن (هادلبرج) كانت بلدة مكتفية ذاتيًا .. ولم تبال لحظة بآراء الأغراب .. وإن كان من الحكمة عمل استثناء لهذا الغريب بالذات ؛ لأنه كان من الطراز الذى يحتفظ بالمرارة فى قلبه ويحب الانتقام ، وقد أمضى عامًا كاملاً يفكر فى طريقة الانتقام .. وكانت أفضل خططه تؤذى على الأكثر عددًا غفيرًا من الناس .. لكنه كان يريد ..

خطة تؤذى البلدة كلها ، فلا يفر منها أحد .. فى النهاية ظفر بفكرة موفقة ..

قال لنفسه وهو يضحك ضحكة شيطانية :

ـ « هذا هو ما سأفعله .. سأفسد أخلاق البلدة .. »

بعد ستة أشهر ، ذهب إلى (هادلبرج) .. وصل إلى بيت محاسب المصرف حوالى الساعة العاشرة مساءً .. كان يحمل حقيبة يتعثر بها وهو يقطع الفناء الخلفى للكوخ ، ثم قرع الباب ..

جاء صوت امرأة يقول :

ـ « تعال .. »

فتح الباب ودخل ليضع حقيبته جوار الموقد ، ثم قال للعجوز التى تقرأ (مؤرخ الإرساليات) جوار المصباح :

ـ « هل لى أن أقابل زوجك لدقيقة يا سيدتى ؟ »

ـ « لا .. إنه فى (براكستون) ولن يعود إلا فى الصباح .. »

ـ « لا مشكلة يا مدام .. فقط أريد أن أترك هذه الحقيبة المغلقة بالأختام ليعطيها لمالكها الأصلى حين نجده .. أنا مجرد غريب .. ومهمتى الآن قد تمت فى فخر ورضا .. سوف أرحل ولن تسمعى عنى ثانية ، وكل شىء مشروح بالتفصيل فى المذكرة المثبتة على الحقيبة .. »

كانت المرأة خائفة من الغريب ، لكن حين رحل غلبها الفضول ففتحت المذكرة :

ـ « هذه الحقيبة تحوى عملات ذهبية وزنها 160 رطلاً وأربع أوقيات(*) .. »

هرعت المرأة ـ مسز (رتشاردز) ـ تغلق الباب والستائر ، وأصغت قليلاً إلى صوت اللصوص ثم عادت تقرأ المذكرة :

ـ « أنا غريب .. ولسوف أعود إلى وطنى ، لكنى مدين لـ (أمريكا) بما حصلت عليه وأنا تحت علمها .. لقد قدمت لى (هادلبرج) خدمتين ..

« الأولى هى أننى كنت مقامرًا .. أقول (كنت) .. وصلت القرية ليلاً جائعًا مفلسًا .. كنت خجلاً من أن أتسول ، لكنى فعلت ذلك فى الظلام .. وكان هناك رجل أعطانى عشرين دولارًا .. بمعنى آخر أعطانى الحياة .. لأننى بهذا المال قامرت وكونت ثروة وبدأت حياة جديدة ..

« ومع العشرين دولارًا ، أعطانى نصيحة خالدة لم أنسها قط .. لكنى لن أقامر ثانية ..

(*) حوالى 73 كيلو جرامًا

« أنا لا أعرف هذا الرجل ، لكنى أريد أن تجدوه .. وأن يأخذ هذا المال ليصرفه أو يبدده أو يدخره كما يريد .. أنا مطمئن إلى أمانة هذه البلدة ، وأعرف أن بوسعى الثقة بها .. يمكنكم أن تجدوا هذا الرجل عن طريق ملحوظة قالها لى فى تلك الليلة ..

« أقترح أن تجروا التحريات بشكل شخصى .. اكتبوا محتويات هذه الرسالة لكل من تعتقدون أنه الرجل الذى ساعدنى .. فإذا جاء من يقول إنه هو الرجل ، فاسألوه عن الملحوظة التى قالها لى .. إنها مكتوبة فى المظروف داخل الحقيبة .. لو كانت هى الملحوظة ذاتها فالرجل هو .. أما لو فضلتم أن تعلنوا الأمر ، فانشروا الرسالة فى الجريدة .. واطلبوا من المرشح أن يظهر فى قاعة اجتماعات البلدة فى الثامنة مساء يوم الجمعة بعد ثلاثين يومًا من الآن ، ويقدم ملحوظته فى خطاب مغلق موجه إلى المحترم مستر (بيرجس) ـ لو وافق كريمًا على المشاركة ـ ودعوه يحطم الأختام ويفتح الحقيبة ، ليرى إن كانت الملحوظة صحيحة .. فإن كانت صحيحة أعطوا المال لصاحبه مع جزيل شكرى .. »

جلست مسز (رتشاردز) ترتجف من الإثارة ..

ـ « فقط لو كان زوجى هو الرجل المحظوظ .. نحن فقيران .. فقيران ومسنان .. »

ثم تنهدت وقالت :

ـ « لكن ليس عزيزى (إدوارد) من يفعل هذا .. ليس هو من يعطى غريبًا عشرين دولارًا .. لكن هذا مال قمار .. نقود خطيئة ! لا نستطيع أن نلمسها .. لا أريد أن أكون بجوارها .. »

وابتعدت عن الحقيبة :

ـ « أتمنى لو جاء (إدوارد) وأخذها إلى المصرف .. فلو أن لصًا جاء الآن .. من المرعب أن أكون هنا مع هذه الأموال .. »

عاد زوجها فى الحادية عشرة ليقول لها :

ـ « أنا متعب جدًا .. أنا مجرد عبد لرجل آخر .. وهو مستريح فى بيته يلبس خفيه الدافئين .. »

ـ « أنا حزينة من أجلك .. لكن على الأقل لدينا اسمنا الطيب .. »

ـ « نعم يا (مارى) .. هذا كل شىء .. اغفرى لى .. بالمناسبة .. ما الذى فى هذه الحقيبة ؟ »

حكت له زوجته القصة كاملة .. فشعر بالدوار وقال :

ـ « ماذا نفعله ؟ هل نجرى مخابرات شخصية ؟ لا .. أعتقد أنه لا بد من إعلان الأمر .. سيجعل هذا كل القرى الأخرى تشعر بالغيرة .. لأنه ما من غريب يتهور هكذا إلا مع (هادلبرج) .. يجب أن أذهب إلى الجريدة الآن .. »

ـ « لا .. لا .. لا تتركنى هنا مع هذه يا (إدوارد) .. »

لكن زوجها كان قد ابتعد .. وبعد خطوات قابل رئيس تحرير الجريدة فناوله المذكرة ..

قال الرجل :

ـ « ربما تأخرنا يا مستر (رتشاردز) .. لكن سأرى .. »

عاد الرجل لزوجته .. وكان النوم مستحيلاً لأن السؤال المهم كان هو : من فى البلدة يمكن أن يعطى عشرين دولارًا لغريب .. لم تكن هناك إلا إجابة واحدة :

ـ « باركلى جودسان .. »

ـ « الجميع يعرف هذا .. منذ ستة أشهر حتى الآن والبلدة آمنة .. تحافظ على ممتلكاتها .. بخيلة .. »

ـ « هذا هو ما كان يقوله .. »

ـ « ولهذا كان الجميع يكرهه .. »

ـ « نعم .. لكنه لم يبال .. كان أفضل رجل مكروه بيننا .. باستثناء المحترم مستر (بيرجس) .. »

ـ « كان (بيرجس) يستأهل هذا .. ولن يحتشد لـه المصلون ثانية .. لكن أليس غريبًا أن يختار الغريب (بيرجس) لتسليم المال ؟ »

ـ « (مارى) .. ربما يعرفه الغريب خيرًا مما تعرفه القرية .. ليس الرجل سيئًا .. »

أصابت زوجته الدهشة :

ـ « هراء !! »

ـ « أعرف أنه ليس سيئًا .. لكن نقص شعبيته يعود إلى شىء واحد .. الشىء الذى أحدث كل هذه الضوضاء .. »

ـ « شىء واحد حقًا !! كأن هذا الشىء غير كاف .. »

ـ « (مارى) .. أؤكد بشرفى أنه كان بريئًا .. »

ـ « لا أصدق هذا وليس بوسعى .. فكيف تعرف ؟ »

ـ « يخجلنى أن أعترف .. كنت الرجل الوحيد الذى عرف

أنه برىء .. كان بوسعى إنقاذه لكنى لم أجرؤ .. كان الكل سينقلب ضدى .. لم يكن لدى من الرجولة ما يكفى لهذا .. »

فكرت الزوجة قليلاً .. كان الصراع مريرًا لكنها حسمته وقالت :

ـ « كنت سأمنعك على كل حال .. لكن ترى كيف يفكر فينا الآن ؟ »

ـ « هو ؟ هو لا يشك لحظة فى أنه كان بوسعى إنقاذه .. حين كانت القصة جديدة ملتهبة ، وكانت البلدة ستضعه على قضيب قطار وتطرده(*) ، لم يسمح ضميرى بهذا .. لهذا توجهت إليه وأنذرته .. من ثم غادر البلدة .. فترة كافية حتى هدأت الأمور وعاد .. »

ـ « لو أن أحدًا عرف .. »

ـ « كنت أموت رعبًا من هذه الفكرة ، ولهذا لم أخبرك حتى لا يفتضح الأمر على وجهك .. بعد فترة أيقنت أن أحدًا لن يشك فى ، وبدأت أشعر بالسعادة من أجل ما فعلت .. »

عادا ثانية إلى لغز حقيبة الذهب .. وبدأت المحادثة تعانى

(*) عادة الغرب فى طرد المكروهين من البلدة .. وهى طريقة مجبة مثلها مثل القطران والريش .

من وقفات ومقاطعات بسبب التفكير العميق .. فى النهاية غرق (رتشاردز) تمامًا فى التفكير وتدريجيًا بدأ يرتب أفكاره ..

فى نفس الوقت كانت زوجته غارقة فى الصمت ، وبدا عدم الراحة على حركاتها ..

فجأة نهض زوجها فاعتمر قبعته ، كأنما هو رجل يمشى فى أثناء النوم ، وغادر المنزل .. بينما جلست زوجته مكتئبة وكأنما لم تشعر قط أنه غادر المنزل .. ومن حين لآخر تغمغم :

ـ « لكننا فقيران جدًا .. من سيتأذى لو ؟ لن يعرف أحد .. ولكن ... »

ثم أفاقت من غيبوبتها ونظرت لأعلى ثم قالت فى مزيج من الرعب والسرور :

ـ « رحل ! لكن لربما تأخر .. لربما تأخر كثيرًا .. ربما لا .. ربما هناك وقت .. »

ووقفت تفكر وتطبق يديها وتفكهما ..

ركعت جوار الحقيبة وراحت تتحسس جوانبها فى حب .. بينما ظهر بريق فى عينيها العجوزين البائستين .. وكانت من حين لآخر تغيب عن العالم وتردد من دون انقطاع :

ـ « لو أننا فقط انتظرنا .. لو انتظرنا ولم نكن متعجلين بهذا الشكل .. »

فى الوقت ذاته عاد (كوكس) رئيس التحرير لداره وأخبر زوجته بالقصة ، واتفقا على أنه لا يوجد إلا رجل واحد فى البلدة يمكن أن يعطى غريبًا عشرين دولارًا هو (جودسان) ..

ظلت الزوجة شاردة قليلاً ثم قالت كأنما تكلم نفسها :

ـ « لا أحد يعرف بهذه القصة سوانا .. سوانا وآل (رتشاردز) .. »

خرج الزوج من شروده وحملق فى زوجته بكآبة ، ثم نهض فى تردد ونظر لقبعته .. ثم لزوجته فى نوع من التساؤل الصامت . ابتلعت الزوجة ريقها وبدلاً من الكلام هزت رأسها .. بعد لحظة صارت وحدها تكلم نفسها ..

الآن يهرع (كوكس) و(رتشاردز) عبر الشارع المقفر من اتجاهين مختلفين ..

تقابلا لاهثين عند درج مكتب الطباعة .. وفى ضوء الليل الخافت قرأ كل منهما وجه صاحبه ..

همس (كوكس) :

ـ « لا أحد يعلم بهذا سوانا ؟ »

جاء الرد الهامس :

ـ « ولا مخلوق .. بشرفى .. ولا مخلوق .. »

ـ « ألم يتأخر الوقت كى .. »

كانا يصعدان فى الدرج ، هنا قاطعهما صبى ، فسأل (كوكس) :

ـ « هل هذا أنت يا (جونى) ؟ »

ـ « نعم يا سيدى .. »

ـ « لا تشحن البريد .. لا تشحن أى بريد .. انتظر حتى أخبرك .. »

ـ « لقد ذهب يا سيدى .. »

ـ « ذهب ؟ »

كان فى صوته رنين من خيبة الأمل التى لا توصف ..

ـ « نعم يا سيدى .. لقد تغير الجدول الزمنى لـ (بركستون) وكل البلدان القريبة .. »

لم يتكلم أى الرجلين لعشر دقائق .. ثم قال (كوكس) :

ـ « ماذا جعلك تتعجل بهذا الشكل ؟ »

كانت الإجابة بسيطة بما يكفى :

ـ « الآن أرى ذلك .. لكن لم أفكر قط حتى فات الأوان .. لكن المرة القادمة .. »

ـ « فلتذهب المرة القادمة للجحيم ! لن تتكرر الفرصة ولو بعد مليون سنة .. »

ثم افترق الصديقان دون تحية المساء ، وجرا نفسيهما كأنما هما رجلان منيا بفقد حبيب .. وفى كل بيت وثبت الزوجة صائحة : حسن ؟

ثم إنها رأت الإجابة على وجه زوجها .. من ثم غاصت فى المقعد شاعرة بالأسى ..

وفى كل بيت دارت مناقشات أكثر خشونة والتهابًا ..

قالت مسز (رتشاردز) :

ـ « لو أنك فقط انتظرت .. لو توقفت لتفكر .. لكن لا ..

لا بد من أن تجرى إلى مكتب الجريدة وتنشر الخبر للعالم كله .. »

ـ « كانت المذكرة تطالبنى بالنشر .. »

ـ « لا .. قالت تصرف بشكل شخصى لو أردت .. »

ـ « ربما .. لكنى فكرت فى الصخب الذى ستحدثه القصة ، والفخر الذى ستجلبه لـ (هادلبرج) .. »

ـ « أعرف هذا .. لكن لو أنك فقط توقفت لتفكر .. لعرفت أن الرجل المعنى ميت فى قبره بلاوريث .. ولما كان المال سيذهب إلى من يريده بقوة .. ولما كان أحد لن يتعذب .. »

ثم انفجرت فى البكاء فراح الزوج يبحث عما يهدئها ..

ـ « لقد كان هذا مكتوبًا أن ... »

ـ « مكتوبًا .. كل شىء مكتوب ؟ حين يبحث المرء عن مخرج لغبائه .. لم لا تفكر فى أنه كتب لنا أن نحظى نحن بهذا المال ؟ ومن أعطاك الحق فى تفسير إرادة السماء ؟ كان هذا خطأ .. كان هذا تفسيرًا تجديفيًا .. »

ـ « لكنك تعرفين يا (مارى) أننا تدربنا .. حتى صارت طبيعة ثانية لنا فى هذه القرية ألا نتساءل حين يكون هناك شىء يتعلق بالأمانة .. وها نحن أولاء نرى كيف تصدعت هذه الأمانة الصناعية عندما برز أول إغراء حقيقى .. »

ـ « (إدوارد) .. أنا مؤمنة أن أمانة هذه البلدة متعفنة مثل أمانتى .. مثل أمانتك .. إنها بلدة منحطة .. بخيلة .. بلا أية فضيلة سوى هذه الأمانة المزعومة .. أعترف لك بأننى مخادعة .. كنت كذا طيلة حياتى دون أن أعرف .. »

ـ « حسن يا (مارى) .. أنا أشعر بالشىء ذاته .. »

وساد الصمت .. فى النهاية قالت الزوجة :

ـ « أعرف فيم تفكر يا (إدوارد) .. »

بدا عليه الخجل وسمت من ضبط متلبسًا .. فقالت :

ـ « لا مشكلة .. كنت أفكر فى الشىء ذاته .. »

ـ « ليكن .. قوليها .. »

ـ « كنت أفكر ماذا لو أن أحدًا خمن محتوى المذكرة فى الحقيبة .. تلك التى تحوى الملحوظة التى قالها

www.liilas.com/vb3
RAMADHEENA

(جودسان) للغريب .. سنقف مراقبين حتى يفتح المصرف فى الصباح ونضع الحقيبة فيه .. الآن لندخل الفراش .. »

ـ « لننام ؟ »

ـ « بل لنفكر .. »

فى الوقت ذاته كان آل (كوكس) قد فرغا من الجدل ، وراحا يفكران فى عمق فى محتوى الملحوظة التى قالها (جودسان) للغريب .. الملحوظة التى تساوى أربعين ألف دولار ..

أما السبب الذى جعل مكتب البرق فى البلدة مفتوحًا حتى هذه الساعة ، فهو أن مندوب جريدة (كوكس) كان يمثل وكالة (أسوشيتد برس) هنا .. نقصد أنه يمثلها فخريًا لأنه لم يكن ينجح إلا أربع مرات فى العام فى كتابة ثلاثين كلمة تقبلها الوكالة .. لكن هذه المرة كان الأمر يختلف .. لقد أرسلت له الوكالة تقول : أرسل القصة كاملة .. كل شىء .. 1200 كلمة ..

شعر الرجل بأنه أكثر الرجال فخرًا فى العالم ..

وفى الصباح التالى كان اسم (هادلبرج) ـ المدينة التى لا يمكن إفسادها ـ على كل لسان فى الولايات المتحدة .. وراح الناس يتناقشون حول الغريب وحقيبة الذهب .. وعن الكلمات المذكورة فى الرسالة ..

★ ★ ★

2

صحتْ (هادلبرج) لتجد نفسها شهيرة .. مذهولة ..

وخرج مواطنوها التسعة عشر الأهم يتصافحون .. يبتسمون .. ويقولون إن قواميس اللغة الإنجليزية ازدادت كلمة جديدة هى (هادلبرج) بمعنى (نزيه) ..

ركض الجميع إلى المصرف ليروا الحقيبة .. ثم بدأ الصحفيون يأتون ليروا الحقيبة ويكتبوا عنها من جديد .. والتقطوا الصور للكنيسة وقاعة الاجتماعات حيث سيتم الاختبار .. التقطوا صورًا للجميع حتى (جاك هاليداى) الصياد مرح الطباع قليل الكبرياء .. صديق الأطفال والكلاب الضالة ..

كل الوجوه كانت تبدى رضًا حالمًا .. وسعادة علوية .. ثم بدأ التغيير .. ببطء شديد ..

ربما ما كان أحد ليلاحظ التغيرات .. ما عدا (جاك هاليداى) الذى كان يلاحظ كل شىء .. لقد بدأ يلقى ملحوظات ضاحكة عن الناس الذين لا يبدون بذات السعادة كما كانوا أمس .. فى النهاية أعلن أن الناس يبدو عليهم الهم والشرود وانشغال البال ..

فى كل فراش كان أحد أعلام البلدة يقول لزوجته شاردًا :

ـ « ترى ما هى الملحوظة التى قالها (جودسان) ؟ »

فتهز زوجته رأسها وتقول :

ـ « لا تفعل .. ترى أية أشياء مريعة فى ذهنك ؟ أبعد الفكرة عنك بالله عليك .. »

ويتكرر الأمر فى الليلة الثانية والثالثة .. هنا تبدأ الزوجات فى الاعتراض بصوت أضعف فأضعف .. ثم تأتى الليلة التى يقلن فيها :

ـ « فقط لو استطعنا التخمين .. »

ويومًا بعد يوم كانت سخرية (هاليداى) لا تطاق .. لكنها كانت الضحكة الأخيرة فى البلدة المهمومة التى لم تعد فيها بسمة واحدة ..

وهكذا مرت ثلاثة أسابيع ولم يبق إلا أسبوع واحد ..

كان هذا يوم السبت بعد العشاء .. لكن شوارع المدينة كانت خالية بدلاً من المرح والتسوق ..

لقد جلس (رتشاردز) وزوجته العجوز فى الردهة .. تعيسين يفكران .. لقد صارت هذه عادتهما .. لقد ماتت ونسيت

عادتهما القديمة ليلاً فى الحياكة والقراءة والثرثرة الراضية أو زيارة الجيران .. لم يعد أحد يتكلم أو يزور الجيران .. كل القرية تجلس قلقة صامتة فى البيوت ..

تلقى (رتشاردز) رسالة فنظر لها نظرة عابرة .. ثم ألقى بها على المنضدة وعاد إلى آماله المحبطة .. بعد ثلاث ساعات تعبت زوجته وتأهبت للذهاب إلى الفراش دون مساء الخير .. ثم رأت الخطاب فرمقته بلا اهتمام ..

وكان زوجها جالسًا حين سمع صوت ارتطام .. هرع ليرى ما هناك ، لكن زوجته صاحت :

ـ « دعنى وشأنى .. أنا سعيدة جدًا .. اقرأ الخطاب .. اقرأه .. »

وفعل .. التهم الخطاب وعقله يتسارع .. كان الخطاب من ولاية بعيدة .. وكان يقول :

ـ « أنا غريب بالنسبة لكما لكن هذا لا يهم .. لقد وصلت لوطنى من المكسيك ، وعرفت بهذه القصة .. أنتما طبعًا لا تعرفان من قال تلك الملحوظة ، لكنى أعرف .. أنا الوحيد الذى يعرف ..

التهم الخطاب وعقله يتسارع .. كان الخطاب من ولاية بعيدة ..

« لقد كان هذا (جودسان) .. لقد عرفته جيدًا منذ أعوام .. لقد مررت بقريتكم فى تلك الليلة وكنت ضيفه حتى جاء قطار منتصف الليل .. سمعته يذكر تلك الملحوظة للغريب فى الظلام .. كان هذا فى زقاق (هال) ..

« لقد تكلم (جودسان) عن بلدتكم وعنكم .. وقد ذكر الجميع بالسوء فيما عدا ثلاثة كانت نبرته حسنة نوعًا بخصوصهم .. أقول (حسنة نوعًا) .. لا شىء أكثر .. هؤلاء الثلاثة أنت ضمنهم .. قال إنك فى يوم ما أديت له خدمة عظيمة .. وإنك لم تكن تعرف قيمتها ، وإنه لو كان يملك ثروة لتركها لك ولترك اللعنة لكل القرية ..

« إذن أنت وريثه الشرعى .. ومن حقك أن تحصل على الذهب .. وأنا أعهد فيكم آل (هادلبرج) الأمانة والصدق ، لذا سأذكر لك تلك الملحوظة وأنا مطمئن إلى أنه لو لم تكن أنت ، فإنك ستبحث عن الرجل المقصود ..

« الملحوظة التى قالها (جودسان) هى : أنت لم تنحدر إلى مرتبة الأشرار .. اذهب وأصلح نفسك .. »

« هوارد ل. ستيفنسون .. »

صاحت الزوجة :

« آه يا (إدوارد) ! أنا سعيدة جدًا .. لقد أردنا هذا .. إن المال لنا .. والآن أنت حر من (بنكرتون) ومصرفه .. لم تعد عبدًا لأحد .. أشعر بأننى أطير فرحًا .. »

وجلس الزوجان شاعرين بسعادة لم يظفرا بها منذ أيام الخطبة .. فقد صارت حياتهما روتينًا ثابتًا لا يتغير حتى جلب الغريب المال .. وقالت الزوجة :

ـ « أوه .. كم أن هذا حظ حسن أنك أديت هذه الخدمة لـ (جودسان) المسكين .. لم أحبه قط لكنى أحبه الآن .. ومن الجميل أنك لم تذكر هذا المعروف قط أو تتباهى به .. »

قال (إدوارد) مرتبكًا :

ـ « م م م .. (مارى) .. أنت ترين .. »

ـ « كف عن الغمغمة واحك لى يا (إدوارد) .. الكل يؤمن أنه كانت هناك روح واحدة كريمة فى هذه القرية ، والآن يتضح لى أن هذه الروح هى أنت .. لماذا لا تقول لى ؟ »

ـ « لكن يا (مارى) .. لا أقدر .. »

ـ « لماذا لا تقدر ؟ لماذا لا تقدر ؟ »

ـ « لأنه جعلنى اقسم ألا أتكلم .. »

نظرت له فى حدة :

ـ « جعلك تقسم ؟ لم تخبرنى بهذا ؟ »

ـ « وهل تحسبيننى أكذب ؟ »

وضعت يدها على رجله وقالت :

ـ « لا .. لا .. لقد ابتعدنا عن طبائعنا كثيرًا فليحمنا اللّه من هذا .. أنت لم تكذب فى حياتك .. لكن أشياء كثيرة تتهاوى من تحت أقدامنا الآن .. »

كان (إدوارد) شارد الذهن .. لأن عقله كان يحاول تذكر أية خدمة قدمها لـ (جودسان) على الإطلاق ..

وهكذا ظلا ساهرين .. (مارى) سعيدة مشغولة .. (رتشاردز) مشغول لكنه ليس سعيدًا ..

هل سبق له أن أدى خدمة لـ (جودسان) ؟ بالطبع .. هناك كلمات (جودسان) نفسه .. هى الدليل الذى لا يدحض .. إذن قد استقرت هذه النقطة ..

لكن (ستيفنسون) كاتب الرسالة لم يكن واثقًا تمامًا مما إذا كان (رتشاردز) هو من قدم الخدمة .. بل إن الأول واثق من أن (رتشاردز) لو لم يكن هو المقصود فلسوف يذهب ليبحث عن مقدمها الحقيقى ..

نقطة أخرى : كيف ظل اسم (رتشاردز) فى ذهن (ستيفنسون) كل هذه الأعوام ولم يخلطه باسم آخر ؟ هذا جميل .. كلما دققت فى الأمر وجدت أن هذا دليل كاف على أن (رتشاردز) هو من قدم الخدمة ..

هكذا قرر أن يتخلص من التفكير فى هذه المسألة ..

إنه مستريح الآن .. لكن هناك مشكلة أخيرة تلح عليه .. بالطبع هو قد قدم خدمة .. هذا مؤكد .. لكن ماذا كانت الخدمة ؟

يجب أن يتذكر وألا يخلد للنوم قبل أن يتذكرها .. لذا فكر وفكر .. لم يبد له أى احتمال معقولاً .. لم يبد له أى شىء يستحق المال الذى تمنى (جودسان) أن يتركه له ..

ما نوع الخدمة التى تجعل رجلاً ممتنًا إلى هذا الحد ؟ إنقاذ روحه ! لابد أنه كذلك ..

تذكر كيف حاول ذات مرة أن يغير شخصية (جودسان) ،

وكم جاهد لهذا .. بدا له أنه حاول ثلاثة أشهر .. لكن إذ فكر ثانية وجد أنها فترة شهر .. ثم أسبوع .. ثم يوم .. ثم لاشىء .. لقد تذكر الآن أنه نصح (جودسان) لكن الأخير نصحه بأن يذهب إلى الجحيم ولا يتدخل فيما لا يعنيه ..

إذن .. هذا الاقتراح فاشل .. إنه لم ينقذ روح (جودسان) ..

بعد قليل خطرت له فكرة أخرى .. هل أنقذ ممتلكات (جودسان) ؟ لا .. لم يكن لدى الرجل ممتلكات ..

هل أنقذ حياته ؟ لا .. وإلا لكان تذكرها ..

لكنه على الطريق الصحيح .. إن عقله يعمل بأفضل كفاءة له الآن ..

لذا ـ خلال ساعتين من التفكير المضنى ـ كان ينقذ حياة (جودسان) .. لقد أنقذها بكل السبل الممكنة .. وفى كل مرة كان ينقذ الرجل بشكل جيد ، ثم إذ يقنع نفسه بأن هذا حدث فعلاً ، كان يقابل تفصيلاً عسيرًا يجعل الأمر مستحيلاً ..

مثلاً بالنسبة للغرق ، كان يغطس فى الماء ويجذب (جودسان) إلى الشط بينما جمهور غفير يهلل ويصفق .. لكن ما إن يبدأ فى تصديق أن هذا قد حدث ، كانت مجموعة

تفاصيل مزعجة تبرز له .. كانت المدينة ستعرف القصة .. وكانت (مارى) ستعرفها .. كان سينكر كل التفاصيل بدلاً من أن تكون الذكرى « خدمة عظيمة لم تكن تعرف قيمتها .. »

وهنا تذكر أنه لا يستطيع السباحة على كل حال ..

لحظة .. هناك نقطة تناساها أو نسيها .. لابد من أن تكون الخدمة « خدمة عظيمة .. ولكنه لم يعرف قيمتها .. » هذا سيسهل البحث ..

منذ أعوام كاد (جودسان) يتزوج فتاة حسناء حلوة اسمها (ناتسى هويت) .. لكن لسبب ما لم يتم التوافق ، وماتت الفتاة وبقى (جودسان) عزبًا .. وبمرور الوقت اكتسب المرارة واحتقار الجنس البشرى .. قبل موت الفتاة وجد أهل البلدة أو ظنوا أنهم وجدوا بعض الدم الزنجى فى عروقها .. وخيل لـ (رتشاردز) أنه هو من وجد هذا الدم الزنجى .. وخيل إليه أنه أخبر القرية .. وأن القرية أخبرت (جودسان) وبهذا نجا من الزواج بالفتاة .. وبهذا يكون قد أسدى له « خدمة عظيمة .. ولكنه لم يعرف قيمتها .. » بل فى الواقع « دون أن يعرف أنه أسداها .. » لكن (جودسان) عرف وذهب إلى القبر راضيًا راغبًا فى ترك ثروة لمنقذه .. كل هذا واضح ، وكلما فكر فيه بدا له أكثر وضوحًا ..

www.hilas.com
RAGHEEN

وهكذا حين أخلد لفراشه كان يذكر الأمر كأنما حدث أمس .. بل إن خياله صور له (جودسان) يشكره على هذه الخدمة ..

فى الوقت ذاته أنفقت (مارى) ستة آلاف دولار على بيت جديد لها، ثم نامت ..

فى ذات الليلة أوصل ساعى البريد تسعة عشر خطابًا لمواطنى البلدة المرموقين .. ولم يتماثل مظروفان .. ولم تتماثل الخطابات بالداخل .. لكن الصيغة كانت واحدة .. وكلها بتوقيع (ستيفنسون) .. وقد فعل الجميع ما فعله (رتشارلز) .. حاولوا تذكر أية خدمة قاموا بها لـ (جودسان) .. بينما كانت الزوجات ساهرات ينفقن المال .. لقد أنفقت الزوجات 130 ألف دولار معًا ..

وفى الصباح لاحظ (هاليداى) رضا الزوجات وسرورهن .. ولم يجد تفسيرًا لهذا ..

حين قابل مسز (ولكوكس) لاحظ النشوة الهادئة فى عينيها .. فسأل نفسه :

ـ « هل رزقت قطتها بقطيطتين ؟ »

وسأل الطباخ عن هذا، فلم يكن شىء من هذا .. لقد لاحظ الطباخ سعادتها وإن لم يجد لها سببًا ..

وحين رأى السعادة المزدوجة على وجه (شابلى بيلسون)، تأكد من أن أحد جيرانه قد كسر رجله .. لكن البحث أخبره أن هذا لم يحدث ..

أما السعادة على وجه (شيلبى) فكانت تقول بوضوح إن حماته ماتت .. لكن هذا كان خطأ آخر ..

أما (بنكرتون) .. فقد بدا كأنما عثر على عشرة سنتات حسب أنها ضاعت .. لكن لا .. وهكذا .. وهكذا ..

فى النهاية قال (هاليداى) لنفسه :

ـ « من المؤكد أن هناك تسعة عشر مواطنًا يحلقون فى السماء .. لا أعرف السبب .. »

كان هناك بنّاء من الولاية المجاورة، قد أنشأ لنفسه عملاً فى هذه القرية غير الواعدة .. ولافتته معلقة منذ أسبوع .. لم يأته زبون واحد .. وكان الرجل من الطراز سريع القلق، وقد ندم على أنه اختار هذه القرية .. لكن الآن تغيرت الأمور .. لقد جاءت له أكثر من زوجة اليوم تقول له :

ـ « تعال إلى دارنا يوم الاثنين .. لكن لا تقل شيئًا لأحد .. نحن نفكر فى البناء .. »

تلقى إحدى عشرة دعوة اليوم .. فى هذه الليلة كتب لابنته

وطلب أن تفسخ خطبتها مع خطيبها .. قال إنها تستطيع أن تظفر بعريس أعلى مقامًا بميل كامل ..

فكر آل ويلسون فى شىء جديد تمامًا : حفل راقص جميل .. لم يخبرا أحدًا بالحقيقة لكنهما قالا إنهما يفكران .. « لو أقمنا هذا الحفل فلسوف ندعوكم حتمًا .. »

وقال الناس بعضهم للبعض : « هذان مجنونان .. ليس لديهما المال الكافى لهذا .. »

بعض الناس لم يكتفوا فقط بالحلم بالإنفاق، بل أنفقوا فعلاً، واشتروا بيوتًا وأثاثًا وثيابًا وجيادًا .. ثم بدأ نوع من القلق على الوجوه، وهو شىء لم يستطع (هاليداى) فهمه :

ـ « قطيطات آل (ولكوكس) لم تمت لأنها لم تولد قط .. لم تنقص الحمولات .. ولم يكسر أحد رجله .. لم يحدث شىء .. فماذا استجد ؟ »

كان هناك رجل آخر متحير هو المحترم (بيرجيس) .. لأيام بدا له أنه كلما ذهب لمكان كان الناس يقتفون أثره ويراقبونه .. وكلما وجد نفسه وحده كان رجل يدنو منه ليدس مظروفًا فى يده ويقول :

ـ « يفتح فى قاعة الاجتماعات مساء الجمعة .. »

ثم يختفى كأنه مذنب .. كان يتوقع أن يكون هناك من يطالب بالحقيبة .. وإن كان يشك فى هذا لأن (جودسان) مات، لكنه لم يتوقع أن يوجد كل هؤلاء المطالبين ..

وحين جاء اليوم المحدد كان معه تسعة عشر مظروفًا ..

★ ★ ★

3

لم تبد قاعة الاجتماعات فى المدينة بهذا البهاء من قبل ..

لقد تمت تغطية المنصة فى نهايتها بالأعلام ، ومتباعدة على الجدار كانت زينة من الرايات .. والأعمدة ملفوفة بالأعلام ، كل هذا لإبهار الغرباء والصحافة ..

كان المكان مزدحمًا .. تم احتلال الـ 412 مقعدًا مثبتًا والـ 68 مقعدًا إضافيًا والتى وضعت فى الممر بين المقاعد .. وكذا وضعت مقاعد على الدرجات .. وعلى المسرح تراصت بعض المقاعد على شكل حدوة حصان ، جلس عليها المراسلون شديدو الأهمية والذين جاءوا من كل صوب ..

كانت النساء فى ثياب باهظة الثمن نوعًا ، وإن بدا على النسوة اللاتى يلبسنها أنهن غير مستريحات كأنما لم يعتدن هذا .. وربما نشأ هذا الانطباع من عدم اعتياد البلدة على رؤية هاته النساء فى ثياب كهذه من قبل ..

تم وضع حقيبة الذهب على منضدة صغيرة فوق المنصة ، حيث يراها الكل ..

راح الكل ينظر لها باهتمام مشتعل .. اهتمام شغوف

يسيل لعابه .. اهتمام كليب حزين .. إلا أن هناك تسعة عشر زوجًا كانوا ينظرون لها فى رفق وحب .. وراح الذكور منهم يرددون فى سرهم الخطب المرتجلة التى سيشكرون بها التصفيق والتهانى التى سيتلقونها حالاً ..

ومن آن لآخر كان كل واحد منهم يخرج ورقة صغيرة من جيبه ليراجع ما بها منعشًا ذاكرته ..

كان هناك كلام كثير ، لكن حين نهض المحترم (بيرجس) ووضع يده على الحقيبة ، كان بوسعه أن يسمع صوت الميكروبات وهى تمضغ طعامها .. فقد ساد المكان صمت تام .

حكى قصة الحقيبة الغريبة .. ثم راح يتكلم عن (هادلبرج) بحرارة .. التى عرفت بالأمانة والصدق .. وعن أن هذه السمعة هى مفخرة البلدة الوحيدة .. السمعة التى هى كنز لا يقيم بمال .. والذى جعلته العناية الإلهية أكثر أهمية .

وبالتالى صارت البلدة رمزًا دائمًا للنزاهة غير القابلة للإفساد (تصفيق) ..

ـ « ومن هذا اليوم إلى يوم الدين ، سيكون كل منكم مسئولاً عن نفسه وحارسها .. هل يقبل كل واحد فيكم هذه الثقة الغالية ؟ (موافقة صاخبة) .. إذن كل شىء بخير ..

انقلوا هذه الرسالة لأطفالكم وأطفال أطفالكم .. اليوم نقاؤكم فوق الشبهات .. فتأكدوا من أن يبقى كذا .. اليوم ليس بينكم من يرغب فى أن يلمس قرشًا لا يخصه .. تأكدوا من أن يبقى الأمر كذلك .. كونوا على هذا الشرف مقيمين .. (سنفعل ! سنفعل !) .. ليس هذا هو المكان المناسب لنقارن أنفسنا بالآخرين .. بعض هذه المجتمعات ينظر لنا بغلظة .. إن لهم طريقهم ولنا طريقنا .. لنكن بذلك قانعين .. (تصفيق) .. لقد انتهى كلامى يا أصدقاء ، وتحت يدى الآن اعتراف فصيح لرجل غريب عن مجتمعنا بما فى هذا المجتمع من فضائل .. وبفضله سيعرف العالم للأبد من نحن .. لا أعرف اسم هذا الغريب لكنى باسمكم أعلن له امتناننا .. وأطلب أن ترفعوا أصواتكم بالتأييد .. »

نهض الجميع مهللين واهتزت الجدران بالشكر لفترة لا بأس بها ..

ثم جلس الجميع ومد المحترم (بيرجس) يده إلى جيبه وأخرج منه قصاصة من ورق ..

راح يقرأ ببطء وبشكل مؤثر على حين راح الجالسون يصغون فى شبه غيبوبة إلى هذه الوثيقة السحرية ، التى تساوى كل كلمة منها سبيكة ذهب ..

ـ « الملحوظة التى قلتها للغريب المكروب هى : أنت لم تتحدر إلى مرتبة الأشرار .. اذهب وأصلح نفسك .. »

ثم قال :

ـ « الآن سنعرف ما إذا كانت هذه الملحوظة هى نفس تلك الموجودة فى الحقيبة .. فإذا ثبت هذا ـ وهو كذلك ـ فسوف تكون هذه الحقيبة ملكًا لمواطن من مواطنينا ، سوف يصير من الآن رمزًا للفضيلة التى جعلت بلدتنا شهيرة فى أرجاء الأرض .. مستر (بيلسون) !! »

تأهب الجميع للانفجار فى نوبة من التصفيق ، لكن على عكس هذا بدا كأنما الشلل ضرب الجميع ..

ساد الصمت العميق لدقيقة .. ثم تعالت موجة من الهمسات عبر المكان .. كلها بهذا المعنى تقريبًا :

ـ « (بيلسون) ؟ هلم ! هذه خدعة مفضوحة .. يعطى عشرين دولارًا لغريب ؟ (بيلسون) ؟ »

ثم لاحظوا شيئًا آخر .. لاحظوا أنه فى طرف القاعة وقف (بيلسون) وقد حنى رأسه .. وعلى الجانب الآخر وقف المحامى (ويلسون) فى الوضع ذاته ..

استدار الرجلان وتبادلا النظر .. وسأل (بيلسون) :

ـ « لم تقف يا مستر (ويلسون) ؟ »

ـ « لأن لى الحق فى ذلك .. ربما تتفضل أنت وتشرح للجميع لماذا تقف أنت ؟ »

ـ « بسرور يا سيدى .. لأننى كتبت هذه الورقة .. »

ـ « هذا تزييف وقح ! أنا كتبتها بنفسى .. »

هنا جاء دور (بيرجس) ليصيبه الشلل ..

لقد وقف ينظر نظرة خاوية إلى أول الرجلين ، ثم للآخر .. ولم يدر ما يفعله ..

قال المحامى :

ـ « أنا أسأل رئيس الجلسة أن يقرأ الاسم الموقع به على الورقة .. »

هكذا عاد لرئيس الجلسة وعيه ، وقرأ الاسم :

ـ « (جون أنتونى بيلسون) .. »

ـ « هكذا ! ماذا بوسعك قوله الآن ؟ وأى اعتذار يمكنك تقديمه لى ولهذا الاجتماع على التكليس الذى جريته الآن ؟ »

ـ « لا اعتذارات يا سيدى .. وإننى لأتهمك علنًا بالسطو على مذكرتى التى كانت مع مستر (بيرجيس) ، واستبدال نسخة وقعت عليها أنت بها .. لاتوجد طريقة أخرى يمكنك بها تخمين ما جاء فى مذكرتى .. أنا وحدى من بين الأحياء أعرف سر الكلمات .. »

كان من الممكن أن تحدث فضيحة ، وقد لاحظ الجميع أن كتاب الاختزال كانوا يدونون هذا كله بسرعة كالمجانين .. كان الكثير يصرخون (مقعد .. مقعد !!) ..

طرق المحترم (بيرجس) بمطرقته وقال :

ـ « دعونا لا ننس مقتضيات اللياقة .. لقد حدث خطأ .. لكن هذا كل شىء .. لو كان مستر (ويلسون) قد أعطانى مظروفًا وأنا أذكر الآن أنه فعل ، فهو مازال معى .. »

ثم مد يده فى جيبه ، وأخرج خطابًا وفتحه .. ثم نظر فيه مذهولاً قلقًا .. لوح بيده بطريقة ميكانيكية مندهشة ، وحاول أن يقول شيئًا ثم استسلم فتعالت الأصوات :

ـ « قل شيئًا .. اقرأه ! »

لذا بدأ يتكلم كمن يسير فى أثناء النوم :

ـ « الملاحظة التى قلتها للغريب التعس هى : أنت لم تنحدر إلى مرتبة الأشرار تمامًا .. اذهب وأصلح نفسك .. »

ودوت الصيحات : غريب ! مذهل ! ما معنى هذا ؟

قال (بيرجس) :

ـ « إن عليها توقيع مستر (ويلسون) ! »

هنا صاح (ويلسون) :

ـ « هذا ينهى الأمر .. كنت أعرف أن مذكرتى قد سرقت .. »

قال (بيلسون) :

ـ « سرقت ؟ سأعلمك كيف أنه لا أنت ولا أى شخص من نوعك يمكن أن يجرؤ على ... »

صاح رئيس الجلسة :

ـ « النظام أيها السيدان .. النظام ! أرجو أن تجلسا ! »

كان الجميع فى ذهول ، عندما نهض (تومسون) صانع القبعات .. كان يتمنى لو كان من التسعة عشر محظوظًا ، لكن رصيده من تجارة القبعات لم يؤهله ليكون مرموقًا .. قال :

ـ « سيدى .. هل لى أن أقترح أن كلا السيدين على حق ؟ لربما قال كلاهما ذات الكلمات للغريب ... »

هنا نهض الدباغ الذى كان حاد الطباع وقال :

ـ « طبعًا .. هذا قد يحدث مرتين فى كل مائة عام .. لكن المستحيل هو أن يعطى أى منهما عشرين دولارًا لغريب ! »

وتعالى التصفيق ...

قال الدباغ :

ـ « الآن سيدى هناك شىء أكيد .. أحد هذين الرجلين كان يتلصص على الآخر ويسترق السمع لأسراره العائلية .. وليس فى اقتراحى هذا ما يمس الروح البرلمانية بسوء .. إننى أرى أن كليهما جدير بهذا .. وأرى أنه لو كان أحدهما قد سمع الآخر يحكى القصة لزوجته ، فسوف نعرف هذا الآن .. »

جاء صوت يسأل :

ـ « كيف ؟ »

ـ « سهل .. كلاهما لم يذكر الملحوظة بنفس الكلمات .. كنتم ستلاحظون هذا لولا المشاجرات بين الورقتين .. »

ـ « ما هو الفارق ؟ »

ـ « كلمة (تمامًا) .. فلو أننا فحصنا الورقة فى الحقيبة لعرفنا مَن من هذين الدجالين .. (الهدوء يا سادة .. الهدوء) .. مَن من هذين المغامرين .. (النظام يا سادة .. النظام) ..

مَن مِن هذين السيدين (ضحك وتصفيق) .. يستحق أن يكون أول نصاب عديم الأمانة ينشأ فى مدينتنا .. التى ستصير جحيمًا له من الآن فصاعدًا ! »

مد المحترم يده فى الحقيبة وأخرج منها مظروفين مغلقين .. وقال :

ـ « أحد هذين يقول : لا يفحص إلا بعد قراءة كل المطالبات المقدمة للرئيس .. الآخر كتب عليه : الاختبار .. كتب فى الورقة : لا أريد الدقة الكاملة فى نصف الملاحظة الأول التى قالها لى المحسن .. لأن كلامها غير مهم ويسهل نسيانه .. لكن الكلمات الخمس عشرة الأخيرة مهمة جدًا .. وما لم يذكر لك هذه الكلمات الأخيرة بدقة يمكنكم اعتبار المطالب نصابًا .. لقد بدأ المحسن إلى بأن قال إنه لا يعطى النصائح إلا فيما ندر .. لكن نصائحه عظيمة القيمة حين يعطيها .. والنصيحة التى قالها لى لن أنساها ابدًا : أنت لم تنحدر إلى مرتبة الأشرار تمامًا .. »

هنا تعالت الأصوات :

ـ « هذا يسوى الأمر .. (ويلسون) ! (ويلسون) ! خطبة .. خطبة ! »

هنا دق الرئيس على المنضدة وصاح :

ـ « نظامًا يا سادة ! النظام ! دعونى أكمل ! »

وحين عاد الهدوء واصل القراءة ..

ـ « اذهب وأصلح نفسك .. تذكر كلماتى .. لأن خطاياك ستجعلك تموت وتذهب إلى الجحيم أو إلى (هادلبرج) .. حاول أن تختار الخيار الأول .. »

ساد صمت عميق .. ثم بدأت سحابة من الغضب تخيم على الجالسين .. ثم بدأت السحابة تعلو ، وبدأ شعور من الابتهاج ، بدا كأنما كان يتوارى بصعوبة عظيمة ..

وحنى الغرباء والصحفيون رءوسهم ، وأخفوا وجوههم بأيديهم ، وحاولوا التماسك بقوة لا يمكن وصفها ..

ثم فجأة انفجر الجميع فى الضحك ، وحتى المحترم (بيرجس) لم يستطع التماسك أكثر .. واعتبر الحضور أنفسهم وقد تم إعفاؤهم من الرسميات ، وقرروا الاستمتاع بهذه المزية إلى أقصى حد .. وكان ضحكًا طويلاً لذيذًا أنهاه المحترم (بيرجس) .. الذى وجد هذه الكلمات الجادة :

ـ « لا جدوى من مداراة الحقيقة .. هذه المسألة عظيمة

الخطر .. إنها تعنى شرف بلدتنا .. إنها تصفع سمعتنا .. إن اختلاف الكلمات بين مستر (ويلسون) و(بيلسون) لأمر خطير لأنه يعنى أن أحد هذين السيدين أو كليهما ارتكب جريمة سرقة .. »

كان الرجلان يجلسان معدومى الحيلة ، لكن سماع هذه الكلمات جعل الكهرباء تسرى فيهما ، فقال الرئيس :

ـ « اجلسا .. »

فأطاعا ..

ـ « المشكلة الآن أن شرفيهما معًا فى خطر .. هل أتمادى فأقول إنهما فى خطر لا فكاك منه ؟ كلاهما لم يذكر الكلمات بالغة الأهمية .. »

ثم صمت حتى يستجمع الصمت تأثيره ، وأضاف :

ـ « هناك طريقة واحدة يحدث بها شىء كهذا .. إننى أسأل السيدين عما إذا كان بينهما تواطؤ ؟ »

ودوى صوت الناس يقولون :

ـ « قد ظفر بهما معًا .. »

لم يكن (بيلسون) معتادًا على الطوارئ لذا جلس معدوم الحيلة ، لكن (ويلسون) كان محاميًا .. فهب شاحبًا قلقًا وقال :

ـ « إننى أطلب مهلة حتى أشرح هذه القضية الأليمة .. يؤسفنى أن أقول ما سأقول لأنه سيسبب أذى لا يمكن إصلاحه لمستر (بيلسون) الذى طالما قدرته واحترمته .. والذى آمنت دومًا بأنه أقوى من أى إغراء .. لكن إنقاذًا لشرفى يجب أن أتكلم .. وأعترف ببعض العار أننى قلت للغريب كل ما ذكر فى ورقة الاختبار .. وحين قرأت الخبر فى الجريدة قررت أن أطالب بحقيبة الذهب ، فهذا حقى تمامًا .. يجب أن تفهموا أن امتنان الغريب لى ليلتها لم يعرف حدودًا .. لقد قال لى ليلتها إنه مستعد كى يرد جميلى ألف مرة .. لكنى لم أتصور قط أن يضعنى فى موقف حرج كهذا .. يجعلنى أردد كلمات تسىء لمجتمعى أمام قومى .. فى هذا الاجتماع الكريم ؟ كان هذا مستحيلاً .. كان المفترض أن يحوى اختباره فقط الكلمات المهذبة التى بدأت بها كلامى .. لو كنتم مكانى لتوقعتم الشىء ذاته .. لن تتوقعوا هذه الخيانة والإساءة .. لهذا بكل أمانة كتبت على

ورقتى الكلمات الخيرة الأولى التى تنتهى بـ (اذهب وأصلح نفسك ..) ثم ناداتى أحدهم فتركت الورقة قبل أن أضعها فى مظروف .. »

ثم استدار ونظر ببطء إلى (بيلسون) وانتظر لحظة ثم قال :

ـ « أطالبكم بأن تلاحظوا هذا .. حين عدت لمكتبى كان مستر (بيلسون) يغادر بابى .. »

فى لحظة كان (بيلسون) على قدميه يصرخ :

ـ « هذه كذبة .. كذبة مشينة !! »

قال الرئيس :

ـ « اجلس .. مستر (ويلسون) هو الذى يتكلم الآن .. »

وشد أصحاب (بيلسون) الرجل وأجلسوه .. بينما قال (ويلسون) :

ـ « تلكم هى الحقائق البسيطة .. وحين عدت للمكتبة كانت المذكرة فى موضع مختلف .. لكنى لم أعلق أهمية على هذا .. إن احتمال أن يقرأ (بيلسون) خطابات الآخرين

أمر لم يرد لى ببال .. لأنه كان رجلاً شريفًا .. والآن أنا الرجل الوحيد فى العالم الذى يستطيع أن يقول لكم محتوى الورقة بشكل شريف .. لقد انتهت كلمتى .. »

لا شىء فى العالم مثل خطبة جيدة يقدر على إرباك الجهاز العقلى وإفساد عواطف جمهور غير مدرب على حيل الخطابة ..

وقد جلس (ويلسون) راضيًا عن نفسه بينما ارتجت القاعة بموجات التصفيق ..

وراح الأصحاب يصافحونه مهنئين ، بينما صرخوا فى (بيلسون) ولم يسمحوا له بكلمة واحدة ..

صاح المحترم :

ـ « ولكن دعونا نستمر يا سادة .. نستمر .. »

فى النهاية ساد صمت معقول .. وقال صانع القبعات :

ـ « وبمَ نستمر يا سيدى ؟ لم يبق إلا تسليم المال .. »

وتعالت صيحات الناس :

ـ « هذا حق .. تقدم يا (ويلسون) .. تقدم .. »

وحمل بعض المتحمسين (ويلسون) على أعناقهم وتأهبوا لحمله إلى المنصة .. هنا تعالى صوت الرئيس :

ـ « النظام ! عودوا لمقاعدكم .. أنتم تنسون أن هناك ورقة يجب أن تقرأ .. »

ثم تذكر فقال :

ـ « نسيت .. ليس من حقى أن أقرأ هذه الورقة قبل مطالعة كل المطالبات .. »

ثم مد يده لجيبه وأخرج ورقة .. نظر فيها بعناية .. بدا عليه الذهول .. فصاح الناس :

ـ « ماذا هناك ؟ تكلم .. »

قال :

ـ « الملاحظة التى قلتها للغريب هى : أنت لم تنحدر إلى مرتبة الأشرار .. اذهب وأصلح نفسك .. توقيع مستر (بنكرتون) مدير المصرف .. »

تحرر جحيم المرح من عقاله ، حتى أوشك الناس على

البكاء .. والصحفيون لم يعودوا يكتبون إلا (نبش فراخ) لا يمكن قراءته فى هذا العالم .. وهب كلب أفزعته كل هذه الضوضاء فراح ينبح ..

وتصايح الناس :

ـ « نحن أثرياء !! رموز للنزاهة !! حتى لو لم نحص (بيلسون) ! »

ـ « يا لـ (ويلسون) البائس ! لقد كان ضحية لصين !! »

هنا تعالى صوت المحترم يأمر بالصمت ، وأخرج ورقة جديدة وراح يقرأ :

ـ « الملاحظة التى .... وأصلح نفسك .. توقيع مستر (جريجورى بيتس) .. »

دوت الأصوات كالإعصار :

ـ « أربعة رموز للنزاهة !! »

نهض بعض الرجال التسعة عشر متجهين لممر الخروج ، لكن الأصوات تعالت :

ـ « أغلقوا الأبواب !! لن يغادر أى رجل نزيه هذه القاعة !! »

www.liilas.com/vb3 ^FAYAHEEN

ـ « الملاحظة التى .... وأصلح نفسك .. توقيع مستر (ساتجرز) .. »

ثم :

ـ « الملاحظة التى .... وأصلح نفسك .. »

ـ « من ؟ من ؟ »

ـ « (نيكولاس وتورث) ! »

وراح الرجال يرتجلون أغنية لشرف (هادلبرج) الذى لا يهتز ..

ـ « هلم .. استمر فى القراءة .. نحن ننال شهرة لا حدّ لها ! »

هنا نهض اثنا عشر رجلاً محتجين وقالوا إن هذه المهزلة أعدها مهرج منبوذ .. وهى إهانة لكل المجتمع .. بالتأكيد كل هذه التوقيعات مزورة ..

ـ « اجلسوا واخرسوا ! أنتم تعترفون ! سنجد أسماءكم فى هذه الأوراق !! »

نهض (رتشاردز) البائس ممسكًا بيد زوجته .. كان

رأسها محنيًا حتى لا يرى أحد أنها تبكى ، وبصوت متحشرج قال :

ـ « أصدقائى .. أنتم عرفتمونا جيدًا أنا وامرأتى .. طيلة حياتنا .. وأحسبكم أحببتمونا .. »

قاطعه رئيس الجلسة :

ـ « اسمح لى .. كل ماتقول حقيقى .. هذه المدينة تحبكما .. تحترمكما .. تعرفكما .. »

هنا صاح (هاليداى) :

ـ « لو كان هذا صحيحًا فليعلن الجميع هذا .. هلموا .. أعلنوا هذا !! »

نهض الجميع وواجهوا الزوجين العجوزين وتطايرت المناديل فى الهواء كعاصفة جليدية .. هنا واصل المحترم الكلام :

ـ « ما أردت قوله يا مستر (رتشاردز) أننا نعرف طيبة قلبك .. لكن ليس هذا هو الوقت المناسب لممارسة الإحسان تجاه المخطئين .. أنا أرى قصدك الطيب لكن لا يمكنك أن تطلب الرحمة لهؤلاء الرجال .. »

ـ « لكنى كنت ... »

ـ « أرجو أن تأخذ مقعدك يا سيدى .. يجب أن نفحص باقى الأوراق .. فهذا أبسط عدل بالنسبة للرجال الذين تم كشفهم .. فمتى تم هذا أعدك بأن نسمع ما تريد قوله .. »

جلس الزوجان .. وهمس الزوج فى أذنها :

ـ « من المؤسف أن نضطر إلى الانتظار .. سيكون العار أكبر حين يعرفون أننا كنا فقط نتوسل لأنفسنا !! »

ـ « الملاحظة التى .... وأصلح نفسك .. توقيع مستر (روبرت تيمارش) .. »

ـ « الملاحظة التى .... وأصلح نفسك .. توقيع مستر (أوسكار وايلدر) .. »

ـ « الملاحظة التى .... وأصلح نفسك .. توقيع مستر (إليفالت ويكس) .. »

وهكذا راح اسم بعد آخر يتلى .. وراح الناس يقضون وقتًا ممتعًا ما عدا التسعة عشر البائسين ..

وراح (رتشاردز) البائس ينتظر اسمه فى رعب ويعد الأسماء ..

اللحظة التى ينهض فيها ليكمل كلمته قائلاً :

ـ « حتى اللحظة نحن لم نقترف خطأ .. مضينا فى طريقنا واعتدنا الفقر .. بلا ولد يعيننا .. لقد تعرضنا للإغراء فزللنا .. الآن أنهض وأتوسل لكم ألا يقرأ اسمى فى هذا المكان العام .. هذه المرة الأولى التى أسمع فيها اسمى بلفظ من شفتين ساخرتين .. كونوا رحيمين بنا .. واجعلوا عارنا أقل ثقلاً .. »

همست (مارى) له :

ـ « انتبه .. اسمك هو القادم .. لقد قرأ ثمانية عشر اسمًا .. »

بحث المحترم (بيرجس) فى يده لدقيقة .. ثم قال :

ـ « يبدو أننى قرأتها جميعًا .. »

سقط الزوجان فى مقعديهما وقد كادا يفقدان الوعى من السرور ، وقالت (مارى) :

ـ « سبحان الله ! لقد فقدت ورقتنا .. ما كنت لأستبدل بهذا ألف حقيبة ذهب ! »

بينما تعالت الأناشيد لأمانة (هادلبرج) والثمانية عشر رمزًا نبيلاً فيها ..

هنا نهض (ونجيت) صانع السروج واقترح أن يحيوا « أنظف رجل فى المدينة .. المواطن المهم الوحيد الذى لم يحاول سرقة المال .. (إدوارد رتشاردز) .. »

وبالفعل حياهما الناس بحرارة ثم اقترح أحدهم أن يكون (رتشاردز) هو حامى حمى المدينة ورمز أمانتها .. وليقف بقوة يتحدى العالم الساخر فى وجهه ..

هنا صاح أحدهم :

ـ « ولكن .. من يأخذ الحقيبة إذن ؟ »

صاح صانع السروج :

ـ « طبعًا للثمانية عشر رمزًا .. كلهم أعطوا الغريب عشرين دولارًا والملحوظة .. من حقهم استرداد الدولارات مع الفوائد ! »

هنا فتح المحترم الورقة الباقية من أوراق الغريب :

ـ « لو لم يظهر من يطالب ، فإننى أرغب فى أن تفتحوا الحقيبة وتعهدوا بما بها من مال إلى المواطنين الأساسيين فى بلدتكم ، ليستعملوها فى أفضل السبل لتقدم مجتمعكم والحفاظ على سمعته بالنزاهة التى لا تفسد .. النزاهة التى ستضيف أسماؤهم لها بريقًا لا ينطفئ .. »

ـ « ملحوظة : يا مواطنى (هادلبرج) .. لم تكن هناك ملحوظة .. لم يكن هناك غريب فقير .. ولا ورقة بعشرين دولارًا .. كل هذه اختراعات .. دعونى أحك لكم القصة الحقيقية ..

ـ « لقد مررت ببلدتكم منذ زمن ما ، وتلقيت إساءة لم أستحقها .. أى رجل آخر كان سيقتل واحدًا أو اثنين منكم ويعتبر هذا هو العدل ، لكنى شعرت أن هذا غير عادل .. لأن الموتى لا يتعذبون .. وحتى هذا ما كان ليشبعنى .. أردت أن أؤذى كل رجل وامرأة فى هذه البلدة .. ليس فى أجسادهم بل فى غرورهم ..

ـ « لهذا عدت لكم متخفيًا .. كنتم صيدًا سهلاً .. كنتم مشهورين بالأمانة وكانت هذه قرة أعينكم .. كنز كنوزكم ..

لاحظت أنكم تبعدون عن الإغراء فعرفت من أين أهجم .. إن أضعف مخلوقات الله هى الفضيلة التى لم يتم اختبارها فى النار .. كانت خطتى هى أن أفسد (هادلبرج) التى لا تفسد ..

« أردت أن أصنع كذابين ولصوصًا من رجال لم يكذبوا فى حياتهم ولم يسرقوا مليمًا .. وآمل أن أسحق غروركم وأعطيكم شهرة من نوع جديد .. لو كنت قد نجحت فافتحوا الحقيبة وعينوا لجنة الحفاظ على سمعة (هادلبرج) .. »

تصايح الناس :

ـ « افتحوا الحقيبة ! فليتقدم الثمانية عشر رمزًا ! لجنة الدفاع عن سمعة (هادلبرج) !! »

وفتحوا الحقيبة فلم يكن فيها إلا قطع من الرصاص .. اقترح صانع السروج أن يتقدم الرموز ليأخذ كل منهم حقه من هذا الرصاص ..

ـ « (ويلسون) .. (ويلسون) .. أنت الأول ! »

قال (ويلسون) فى غضب :

ـ « اسمحوا لى أن أقول ودون اعتذار عن لغتى .. اللعنة على المال !! »

هنا قال صانع السروج :

ـ « أقترح سيدى الرئيس أن يتقدم الرجال لعمل مزاد بعشرين دولارًا على هذه الحقيبة .. على أن يعطى المال فعلاً إلى الرجل الأمين الوحيد فى هذه البلدة .. (إدوارد رتشاردز) .. »

وبدأ المزاد .. وتصاعدت الإثارة بينما العطاءات تتزايد .. حتى وصل المبلغ .. مدفوعًا بالتحدى .. إلى خمسين دولارًا .. ثم مائة ..

وهمس (رتشاردز) لزوجته :

ـ « (مارى) .. هل نسمح بهذا ؟ إنها هدية شرفية .. تقديرًا لشرفنا .. فهل أقبلها ؟ ماذا نفعل يا (مارى) ؟ »

وكان الثمن يرتفع حتى بلغ 250 دولارًا ..

قالت الزوجة :

ـ « (إدوارد) .. أنا .. لا أعرف .. لقد أفلتنا من إغراء وهذا إغراء آخر .. لكن .. فكر فى الأمر .. لا أحد يشك .. »

الآن صار ثمن الحقيبة ألفًا .. وهمست (مارى) دامعة :

ـ « أوه .. فكر يا (إدوارد) .. نحن فقيران جدًا .. لكن .. تصرف أنت كما يحلو لك ! »

وجلس الرجل بضمير غير مستريح لكنه عاجز عن اتخاذ قرار ..

هنا نهض غريب له ملامح المخبر الهاوى ، وقال :

ـ « ما من أحد من الثمانية عشر يزايد .. هذا ليس مرضيًا .. لابد من أن أغير هذا .. إن الضرورة الدرامية تحتم هذا .. يجب أن يشتروا الحقيبة .. بعضهم ثرى ويجب أن يدفع .. »

ثم إنه اشترك فى المزايدة .. وصارت الحقيبة له عند مبلغ 1282 دولارًا ...

تعالى الهتاف ثم توقف لأن الرجل قد وقف رافعًا يده :

ـ « أريد أن أقول كلمة وأطلب معروفًا .. إننى أهوى الغرائب ولى اتصال بهواة العملات عبر العالم ، لكن لدى طريقة ـ لو حظيت بموافقتكم ـ أقيم بها هذه الحقيبة بما يساوى ثمنها ذهبًا .. اضمنوا لى موافقتكم ولسوف أعطى بعضًا من أرباحى لمستر (رتشاردز) .. الذى أدركنا جميعًا مدى استقامته هذه الليلة .. سيكون نصيبه من الصفقة عشرة آلاف دولار ، وسوف أعطيه المال اليوم .. فقط أرغب فى استفتاء عام .. فلو حصلت على أكثر من ثلثى عدد أصواتكم لاعتبرت هذه موافقة .. اسمحوا لى أن أنقش على قطع العملة المزيفة هذه أسماء الثمانية عشر الذين ... »

تعالى التصفيق .. بينما هبت الرموز تحتج على هذه الإهانة .. وتهدد بأن ...

قال الغريب بهدوء :

ـ « أتوسل لكم ألا تهددونى .. أنا أعرف حقوقى ولم أعتد قط أن أخاف من التهديد .. »

هنا وجد الدكتور (هاركنس) الفرصة سانحة ، وكان من أثرياء المدينة .. ربما الأكثر ثراء هو ومدير المصرف .. وكان بين الرجلين سباق محموم .. كلاهما يحب المال ، ويملك أرضًا بلاحساب .. انحنى على الغريب وسأله همسًا :

ـ « ما الثمن الذى تدفعه للحقيبة ؟ »

ـ « أربعين ألف دولار .. »

ـ « سأعطيك عشرين .. »

ـ « لا .. »

ـ « قل ثلاثين .. »

ـ « الثمن هو أربعون ألف دولار .. ولا مليم أقل .. »

ـ « ليكن .. سنلتقى فى الصباح فى الفندق .. سأقابلك بشكل منفرد .. »

ونهض الغريب وقال للجمع :

ـ « أشكركم جميعًا على الموافقة على مطلبى .. لكنى سأنصرف الآن وإننى أرجو الرئيس أن يحتفظ بالحقيبة لى معه

حتى الغد .. وأن يعطى هذا المبلغ لمستر (رتشاردز) .. غدًا فى التاسعة سآخذ الحقيبة وسأسلمه باقى العشرة آلاف دولار فى داره .. »

ثم انصرف تاركًا الجمهور يتناقشون فى صخب .. ثم عادت الأغنية تتردد ..

★ ★ ★

4

وفى منزلهما كان على آل (رتشاردز) أن يتحملا التهانى والمجاملات حتى منتصف الليل .. ثم بقيا وحيدين .. جلسا صامتين حزينين .. فى النهاية قالت (مارى) :

ـ « هل تحسبنا نستحق اللوم ؟ »

ثم نظرت إلى رزمة المال الموضوعة على المنضدة .. لم يرد (إدوارد) ، ثم قال فى تردد :

ـ « لم تكن فى أيدينا حيلة .. كان هذا مقدرًا لنا .. كل شىء كان ... »

ـ « هل تنوى البقاء فى المصرف ؟ »

ـ « لا .. »

ـ « تستقيل ؟ »

ـ « فى الصباح .. نعم .. »

ـ « ليس قرارًا حكيمًا .. »

ـ « لم أكن أخشى أن أترك أموال الناس معى فيما سبق .. أما الآن فأنا متعب يا (مارى) .. متعب .. »

فى التاسعة صباحًا طلب الغريب حقيبته .. وفى العاشرة تحدث معه (هاركنس) بشكل شخصى .. وحصل الغريب على خمسة شيكات لحامله .. أحدها بمبلغ 38.500 دولار .. وضعه بعد انصراف (هاركنس) فى مظروف مع مذكرة كتبها بيده ..

وفى الحادية عشرة انطلق إلى بيت (رتشاردز) .. طرق الباب ففتحت له العجوز الباب .. ناولها الشيك وانصرف دون كلمة ..

شهقت المرأة وقالت لنفسها :

ـ « بالتأكيد أنا أعرفه .. أمس بدا لى مألوفًا بشكل ما .. »

ـ « هل هو الرجل الذى جلب الحقيبة هنا ؟ »

ـ « أنا واثقة من ذلك .. »

ـ « إذن هو أيضًا (ستيفنسون) المزيف الذى تلاعب بالجميع .. وأعتقد أنه خدعنا كذلك .. إن هذا المظروف لايمكن أن يحوى باقى العشرة آلاف دولار ، حتى بأعلى قيمة عملة ممكنة .. ولو كان بالمظروف شيك فلاجدوى منه .. شيك يحمل توقيع (ستيفنسون) ؟ لقد فررنا من الرجل بمعجزة أمس وهو مصمم على أن يوقع بنا .. »

هنا صاحت الزوجة :

ـ « أوه يا (إدوارد) ! يا للسوء ! »

كانت تحمل الشيكات فى يدها ، وصرخت :

ـ « هلم أحرق هذا الشيك ! لايجب أن نخضع للإغراء .. إنها لعبة كى يسخر العالم منا ! أعطها لى ما دام هذا ليس بوسعك .. »

وكان قد دنا من النار فرفع الشيك يدرس التوقيع ، هنا صاح :

ـ « أنقذينى يا (مارى) ! هذا الشيك صحيح ! إنه كالذهب ! عليه توقيع (هاركنس) .. والشيك لحامله .. »

ـ « ولكن لماذا يا (إدوارد) ؟ »

ـ « ربما كان الطبيب لايريد أن ينتشر الموضوع .. ولكن ما هذه المذكرة ؟ »

كانت مكتوبة بخط (ستيفنسون) المزعوم .. وكانت تقول :

ـ « أنا رجل خائب الأمل .. إن أمانتك أقوى من أى إغراء .. لقد تصورت العكس لكنى كنت مخطئًا .. إننى أعلى من قدرك وبكل إخلاص .. هذه البلدة لاتستحق أن تقبل حاشية ثوبك ، وقد راهنت نفسى على أن هناك تسعة عشر رجلاً فاسدًا فى هذه البلدة .. لكنى خسرت .. »

وكان قد دنا من النار فرفع الشيك يدرس التوقيع ..

تنهد (إدوارد) وقال :

ـ « هذه كلمات كتبت بالنار .. بل وتحرق .. (مارى) .. إننى تعس بحق .. لو كنت أستحق هذه الكلمات الجميلة ، ولله يعلم أننى حسبتنى أستحقها يومًا ما .. لاشتريت بالأربعين ألف دولار هذه الورقة .. »

ثم وضعها فى النار ..

جاءت رسالة فتناولها وفتحها .. كانت من المحترم (بيرجس) :

ـ « لقد أنقذتنى فى وقت عسير وأنقذتك أنا أمس .. كان الثمن كذبة لكنى قمت بها ممتنًا .. لا أحد فى القرية كلها يعرف كم أنت نبيل طيب .. أعرف أنه فى أعماقك لن تستطيع احترامى بسبب التهمة التى أحاطت بى ، لكنى على الأقل آمل أن تعرف أننى رجل لا ينسى الإحسان .

نجا مرة أخرى ! ووضع الورقة فى النار وقال :

ـ « (مارى) .. أتمنى لو كنت ميتًا .. أتمنى لو ... »

★ ★ ★

بعد أيام بدأت الانتخابات .. كانت هناك لافتة على شكل نسر ، تحمل على أحد وجهيها عبارة (أنت لم تنحدر إلى مرتبة الأشرار تمامًا) وعلى الوجه الآخر من النسر عبارة (اذهب وأصلح نفسك .. بنكرتون) .. وهكذا اختصرت الجريمة فى شخص واحد وضحك الناس كثيرًا ، وهكذا أيضًا كان الفوز فى الانتخابات من نصيب (هاركنج) ..

وكان ضمير الزوجين قد بدأ يهدأ بعد هذه الخطيئة .. لكنهما تعلما درسًا مهمًا هو أن الخطيئة تكون مرعبة إذا كان هناك احتمال ولو بسيط أن ينكشف أمرها ..

كانا يذهبان إلى الكنيسة كل أحد ليسمعا ذات المواعظ للمرة الألف ، حتى فقدت معناها بالنسبة لهما .. لكنهما فى هذه الأيام صارا يجدان المواعظ تدغهما بالاتهامات .. كأنها موجهة خصيصًا لهؤلاء الذين يخفون خطاياهم عن الناس .. ثم كانا يفران بعد القداس هاربين من شىء لا يعرفان كنهه جيدًا ..

ذات مرة قابلا (بيرجس) من بعيد فهزا رأسيهما له لكنه لم

يجب .. لم يرهما ، لكنهما كادا يموتان قلقًا .. ما سر هذا التصرف وما معناه ؟

هل عرف (بيرجس) أن (رتشاردز) يعرف الدليل على براءته لكنه لم يجسر على إعلانه ؟

هل كانت صيغته فى الخطاب ساخرة حين قال (أعرف أنه فى أعماقك لن تستطيع احترامى بسبب التهمة التى أحاطت بى) ؟ نعم .. هى بالتأكيد ساخرة ..

ثم أين الورقة التى كتبناها ؟ هل يحتفظ بها ليهددنا بها فى وقت ما ؟

وفى منتصف الليل تم استدعاء الطبيب لأن الزوجين ليسا على ما يرام .. قال الرجل إن السبب هو الضغط العصبى الذى عاناه بسبب الثراء المفاجئ .. بعد قليل ازدادت الأخبار سوءًا .. إن الزوجين يخرفان بالفعل .. وقالت الممرضات إن (رتشاردز) كان يبحث عن مكان يخفى فيه شيكًا ..

أما اليوم فالأخبار أسوأ .. لقد أخفى الرجل الشيكات حتى

لا يحدث لها شىء ، لكن حين بحثوا عنها لم يجدوها .. لقد اختفت تمامًا .. وقال المريض للممرضات :

ـ « دعن الوساند وشأنها .. ماذا تردن ؟ »

ـ « كنا نحاول .. »

ـ « لن تلمسن الشيك أبدًا .. إنما أرسله الشيطان لى .. كى يدفعنى إلى الخطيئة .. »

وبالفعل لم يظهر الشيك ثانية قط ..

لكن هلاوس الرجل تزايدت ، وبدأت الممرضات يتكلمن .. وقيل فى البلدة إن (رتشاردز) كان من المطالبين بالحقيبة ، لكن (بيرجس) حماه ولم يقرأ ورقته .. تعالت الأقاويل .. لكن المحترم (بيرجس) قال لهم إنه من السخف تعليق أهمية على هلوسة رجل سقيم ..

ثم تحولت الشكوك إلى إدانة صريحة ، وتخلت البلدة عن ثقتها الشديدة فى أمانة العجوز ..

بعد ستة أيام جاءت أخبار أخرى .. إن الزوجين يموتان .. وفى هذه الساعات صفا ذهن (رتشاردز) فأرسل فى طلب (بيرجس) .

www.liilas.com
ARWA EEN

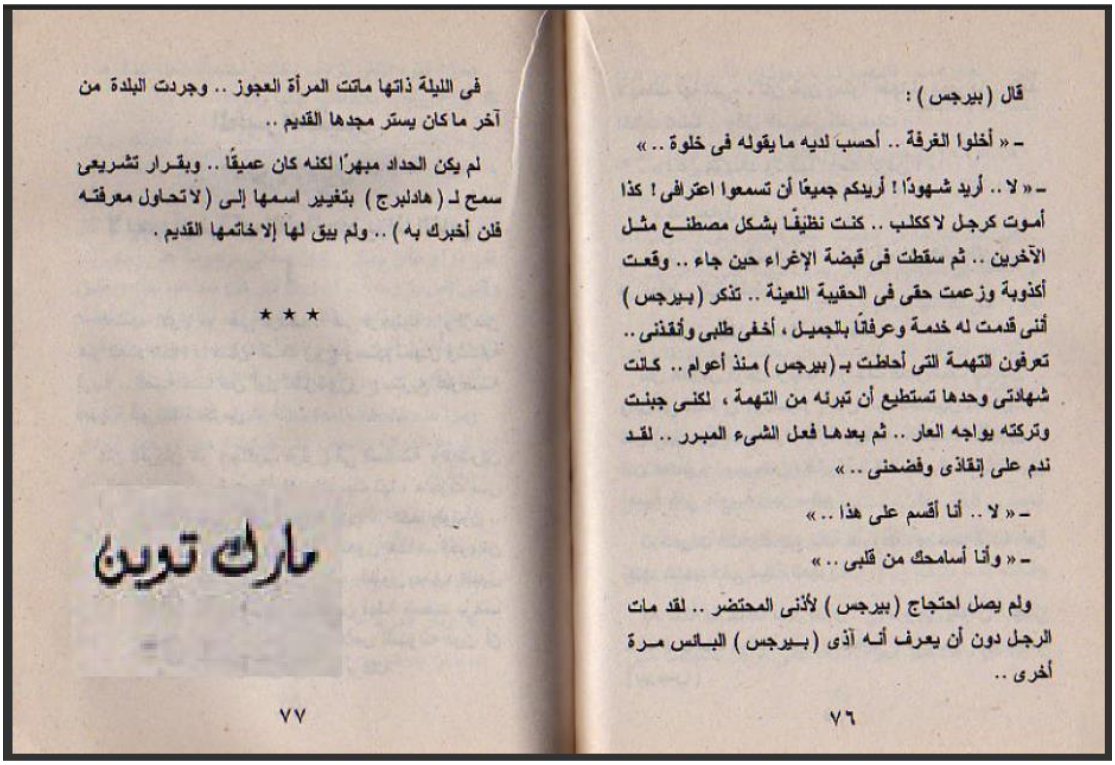

قال (بيرجس) :

ـ « أخلوا الغرفة .. أحسب لديه ما يقوله فى خلوة .. »

ـ « لا .. أريد شهودًا ! أريدكم جميعًا أن تسمعوا اعترافى ! كذا أموت كرجل لا ككلب .. كنت نظيفًا بشكل مصطنع مثل الآخرين .. ثم سقطت فى قبضة الإغراء حين جاء .. وقعت أكذوبة وزعمت حقى فى الحقيبة اللعينة .. تذكر (بيرجس) أننى قدمت له خدمة وعرفانًا بالجميل ، أخفى طلبى وأنقذنى .. تعرفون التهمة التى أحاطت بـ (بيرجس) منذ أعوام .. كانت شهادتى وحدها تستطيع أن تبرئه من التهمة ، لكنى جبنت وتركته يواجه العار .. ثم بعدها فعل الشىء المبرر .. لقد ندم على إنقاذى وفضحنى .. »

ـ « لا .. أنا أقسم على هذا .. »

ـ « وأنا أسامحك من قلبى .. »

ولم يصل احتجاج (بيرجس) لأذنى المحتضر .. لقد مات الرجل دون أن يعرف أنه أذى (بيرجس) البائس مرة أخرى ..

٧٦

فى الليلة ذاتها ماتت المرأة العجوز .. وجردت البلدة من آخر ما كان يستر مجدها القديم ..

لم يكن الحداد مبهرًا لكنه كان عميقًا .. وبقرار تشريعى سمح لـ (هادلبرج) بتغيير اسمها إلى (لا تحاول معرفته فلن أخبرك به) .. ولم يبق لها إلا خاتمها القديم .

★ ★ ★

مارك تروين

٧٧

تم بحمد الله

:-صدى الإبداع-: